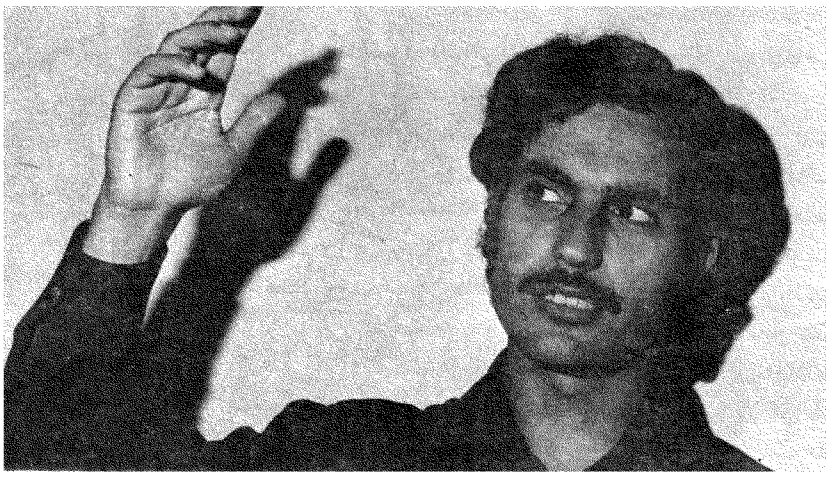

أحمد حبور

عن الآداب

بين الحلم والذاكرة

هي هكذا ــ الآداب ــ بين الذاكرة والحلم ..

اما الذاكرة ، فلها ان اقترح تاريخا يناسبها ، وما دامت ذاكرتي انا ، فليكن هذا التاريخ ، الصفير ،الحميم، مرتبطاً بالشهر الخامس من عام ١٩٦٢ ، كنت يومها قد تجاوزت عامي السادس عشر ببضعة ايام ، وكان مجرد اقتنائي لمجلة الآداب لا يخلو من تنطع وادعاء في اعتقاد بعض اساتذتي في اعدادية خالد بن الوليد بحمص . فكيف يبلغ بي التطاول ان ارسل قصيدة الى مجلة « الآداب » بالذات ؟ وليس هذا فقط ، بل كيف يسمح صاحب الآداب لنفسه بأن ينشر القصيدة ، وهو الذي لوّع « كبار » شعراء المدينة بتجاهله خرائدهم . وماذا سيكون وضع « الشاعر » المراهق ذي الستة عشر عاما امام استاذ له ــ او هو في حكم الاستاذ ــ ردت عليه الآداب ذات يوم في زاوية بريد القراء فجعلته اضحوكة المدينة ؟؟

بالحق أعترف ، ان هذه الشريحة من ذاكرتي لا تخلو من شماتة وبعض اعتداد ، وكلا الشماتة والاعتداد معيب، لكن مهلا ، هل كانت « الحروب » الادبية بين الاساتذة الوفورين الجلادين وطلابهم المتحمسين حروبا عادلة ؟ ألم تطلعنا الآداب نفسها على حرب بين استاذ جامعة وأحد طلابه ، كانت تسفر عن انتصار الطالب على صفحات الآداب وانتصار الاستاذ في مدرج الجامعة وقاعة الفحص، بحيث لم يتمكن الطالب المذكور من الفوز بالشهادة الا بعد انتقال استاذه الاشوس من الجامعة ؟ او لا يحق لذلك الطالب ان يعود الى بعض الشماتة المشروعة عندما يلتفت الآن فلا يجد لاستاذه حضورا ادبيا حتى ولا في باب الطرائف ؟؟

لعلي اريد القول : ان جيلي فتح عينيه على الآداب تخوض معركة ديمقراطية ضد الجمود والاسماء الطنانة او من في حكمها ، منحازة الى مستقبل لم يكن غامضا ، فها هو الآن واقع ملموس : انا اشك بوجود اديب عربي تقدمي ومعروف وفي العقد الثالث من عمره(فما فوق) ولم يمر بصفحات الآداب .

* * *

على ان معركة الحداثة والتخلف لم تكن المعركة الوحيدة لمجلة الآداب .. فمع ان شعار المجلة يبدو بسيطا لاول وهلة (مجلة ادبية تعنى بشؤون الفكر) الا انه كان تطبيقا ميدانيا لمعركة الثقافة الوطنية الديمقراطية ،بحيث تمتد « شؤون الفكر » الى الشؤون النضالية كافة ،وربما كانت الامثلة الذهبية الثلاثة لمحاور نضال « الآداب » هي: الوحدة العربية ، وثورة الجزائر ، والثورة الفلسطينية .. ولا يصعب على الذاكرة ان تشهد كم عانت هذه المجلة في تقديمها لاصوات الادباء الملتزمين ،بحيث انه لم يمر عام واحد عليها الا وشهدت منعا في قطر عربي او اكثرمن اجل قضية قومية او في سبيل حرية الكلمة .

* * *

ـ مرحبا دكتور

ـ قبل السلام .. اقرا هذه القصيدة .

واتناول القصيدة التي فوتت علي لقاء حارا بالدكتور سهيل ادريس بعد غياب غير قليل ، كانت « اغنية الكعكة الحجرية » للشاعر امل دنقل ، وهي بالطبع من اجمل قصائد امل، وفي رأيي انها واحدة من اهم القصائد العربية في السبعينات ..

ـ قصيدة عظيمة وخطيرة .. ولكن هل ستنشرها ؟

ويبتسم الرجل وهو يستعيد القصيدة مني ليدرجها في مواد العدد القادم قائلا :

ـ اذا كان الشاعر جريئا الى حد كتابة القصيدة ، فهل يكون كثيرا ان اجرؤ على نشرها ؟؟

* * *

الوجه الثاني للصورة ، شهدته هكذا :

ـ مرحبا دكتور ..

ـ قبل السلام .. اقرا هذه القصيدة ...

واتناول القصيدة مبتسما ، سعيدا بهذه التحية الحميمة ، كانت القصيدة لشاعر صديق ، من خيرة شعراء جيلنا ، لكنها كانت محيّرة فعلا ، كان فيها شيء عصبي ، وحاد ، نبرة خطابية وانفعال يضعها على شفير الغلط . قرأتها ولم اقل شيئا ، اما الدكتور فقال :

ـ انت تعرف كم يعزّ عليّ هذا الشاعر ، ولكن قصيدته خطيرة .. انا واثق انه لن يتبناها بعد ان تهدأ اعصابه ، ولذلك فانا اقبل زعله مؤقتا ، لاني مع صوته الحقيقي دائما .. ولن انشر ما يشوّه ذلك الصوت الجميل.

* * *

تلك كانت نثرات مبعثرة من ذاكرتي « الآدابية » .. اما الحلم فاننا نخوضه معا .

حمص

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

تلة الخياط ـ برج شهاب ـ ت ٣٠٦٢٨٣
برقيا : موكيالي ـ ص . ب ٥١١٩ / ١٤

صدر عن المؤسسة :

* الموسوعة العسكرية
رئيس التحرير : الهيثم الايوبي
* التصوير الاسلامي
د . ثروت عكاشة
* موسوعة علم النفس
د ـ اسعد رزوق
مراجعة د . عبدالله عبد الدايم
* ملامح يونانية في الادب العربي
د. احسان عباس
* تاريخ المغرب
د. عبدالله العروي
ترجمة د . ذوقان قرقوط
* دراسات ومطالعات فلسطينية
د . عبدالوهاب الكيالي
* المراة والصراع النفسي
د . نوال السعداوي
* الوجه الحضاري للمراة العربية
د . نوال السعداوي
* سلسلة علماء العرب (للفتيان والفتيات)
تأليف : راجي عنايت رسوم : هبة عنايت
* ١٠٠ كتاب عن حرب اكتوبر
ماهر كيالي وماجد نعمة
* سلسلة قصص تاريخ الاسلام (للفتيان والفتيات)
اعداد : محمود سالم
رسوم : حلمي التوني
* سلسلة كليلة ودمنة للاطفال (صدر منها ١٠اجزاء)
اعداد راجي عنايت رسوم : بهجت عثمان

يصدر قريبا : روايات تاريخ الاسلام
(جورج زيدان)
سلسلة للفتيان والفتيات اعداد محمود سالم
ورسوم حلمي التوني .